

البلاغة العصرية واللغة العربية

تأليف الأستاذ سلامة موسى

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

- ٢ -

المقاد سلقى الذم في لفته ، وأسلوبه ، وتفكيره ،
وسلوكة - ٩٩ في لفته من كتابنا كذلك - الكلاسية
داء مصر والشرق - كتابنا أعداء السمكيات الأجنبية

- ١ -

« وقد التفتُ إلى عبارة قالها الأستاذ عباس محمود المقاد بشأن الاشتراكيين في مصر لها مناسبة هنا ، إذ هم يدعون على غير ما يجب إلى اللغة النامية ، وقد حسب عليهم هذه الدعوة في قاعة رذائلهم ؛ لأنه هو يتر بفضيلة اللغة الفصحى ، ويؤلف عن خالد بن الوليد أو حسان بن ثابت ، ولكنه غفل عن التفسير لهذه الظاهرة الاجتماعية ، وهي أن الاشتراكيين شعبيون يمتازون بالروح الشجر ويعملون لتكوينه ، وهم لهذا السبب أيضاً مستقبليون وليسوا سلفيين ... في حين أنه هو سلقى الذم في لفته وأسلوبه وتفكيره وسلوكة ، وليس الأستاذ المقاد وحيداً في هذه السلفية ، لأني أعتقد أن ٩٠ بل ربما ٩٩ في المئة من كتابنا سلفيون » ص ١١

« والكلاسية في مصر كما زعمنا في أيامنا ليست لنوعية أدبية فقط بل هي اجتماعية مزاجية ذهنية ، فدعاتها مثلاً يهتمون كثيراً جداً في التأليف عن الخوارج في أيام علي بن أبي طالب ، ويهملون التأليف عن الخوارج على الديمقراطية في أيامنا ، وهم يدرسون رجال الأمم والأمس هنا قبل ١٠٠٠ سنة ميلادية ولا يدرسون رجال اليوم » ص ١٢٠

- ٣ -

يرحم الله أبا جعفر النصور ، قد قال : « إنه لم يُسر أحد قط منكراً إلا ظهرت في آثاره أو فلتات لسانه » وقد استعلنت

الشكرة التي يكتبها الأستاذ سلامة في غضون كلامه ، وأطلت برأسها حين دعا إلى (الاشتراكية) في اللغة ، وحين فاطمه أن يطلب المقاد (الاشتراكية) ؛ لأنها تدعو - فيما إليه تدعو - إلى التمدد في اللغة ، والنهوى بهذا الفن الجميل من سماءه العالية إلى منحدر الدهماء والطنان .

ثم تجرّم على المقاد فزعم أنه متحجر اللغة ، عتيق الأسلوب ، رجي التفكير ، محافظ في سلوكه ، وكأنما لم يشف غله هذا التخصيص فتخصص على ٩٩ في المئة من كتابنا بأنهم كذلك آسنون ، وما دليله الذي يجول به ويصول ؟ دليله أنهم يكتبون عن خالد والخوارج ولا يكتبون عن رجال اليوم .
بالما من دعوى خرقاء ، وبإلهما من حجة جنوفا .

أيذم أسلوب المقاد وهو ما هو سلامة وسلامة ونصاعة ؟
أذنب المقاد في نظر الناقد أنه يأخذ قلبه بقواعد اللغة وروحها فلا يلحن ، ولا يخطئ ، ولا يسف في تمير ، ولا يحتاج إلى من يصحح له ما يكتبه كما يحتاج غيره ؟

لقد كتب المقاد في السياسة والأدب والتاريخ والقصة ، وأسلوبه في هذه الفنون كلها فارع بارع ممتع .

ثم كيف يتهم المقاد بأنه آسن التفكير ؟
لقد ألف عدة كتب ، وكتب مئات المقالات في شتى

الموضوعات فلازمته غفلة الفكر ، وما حجبته سمة الاستقلال في الرأي ، وما وجدناه مرة يتضائل كما يتضائل غيره أمام رأى قديم ، أو فكرة لعالم أوروبي ، وحتى العلامة (فرويد) الذي يتمدد برأيه الأستاذ سلامة قد تقدمه المقاد ، والعلامة (داروين) الذي يشايه الأستاذ سلامة في كل نظرياته قد خالفه المقاد ، وبهذا الروح القوى الحر كتب المقاد ما كتب في القديم والجديد .
وما معنى أن المقاد سلقى في سلوكه ؟

أبغبه لأنه ليس من أهل الخلاعة والحجامة واستباحة اللذات جهرة كما يفعل الممرورون من أعيان الأدب والفن ؛ لأن الشذوذ والانحراف الخلق في نظرهم وثيقة بأنهم ناس ليسوا كالناس ؟
أم يبغبه لأنه رجل يؤمن بالرجولة فلا يكتب مرة ليمتلق

أهدم للأمة التوثيقية للجد من نكرها لماضيها الخافل ، وغفلتها
أو تفاقها عما لها من عظام وجلائل ، وأعجب عجباً لا يتقضى ممن
دعا إلى الفرعونية مراراً وقد انقطع ما بيننا وبينها من نسب ، ثم
لما بارت دعوته أخذ يسيب الذين يدرسون العرب ، ويكتبون عن
أبطال العرب كأنه يرتبط بالفراعنة بنسب ثم لا يصله بالعرب
سب ! !

وربما دار بخلدى أنه يلحى العقاد وهيكل وطه والحكيم
وغيرهم لأنهم كتبوا عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام كتباً
تخضع لطرائق البحث الحديث وليكنهم جلوا نواحي من عظمته ،
وأبرزوا طرفاً من سمو رسالته ، ولم يجمع بأحدهم قلمه فيقول
أوهيجم ، ثم كتب العقاد وهيكل في أبي بكر وعمر وخالد ،
وكتب العقاد في علي والحسين وعائشة ، فلا والله ما وجدوا
إلا صحائف من ذهب تبليج بالمظلمة والبطولة والنبالة ، وما قالوا
إلا ما قرأوا في هذه الصحائف الخالصة ، ولو كانا غير مسلمين
ما تغير قولها ولا حكمها ، فالبطولة سحر غلاب يجتذب الولي
الحكيم ، والعدو الخصيم ، وشمس سافر ، تفر بصيائها الباهر ،
القريب والبعيد ، وتنفذ آرادها إلى واضح كفيه على عينيه .

وهل كتابنا اقتصروا على الماضي وحده كما يزعم ؟

لنستعرض بعض مؤلفاتهم ثم نحكم .

هذا هو (الزيات) كتب في تاريخ الأدب العربي كتابه ،
فأرخ للأدب بأدب ، وكان مثل بوقون إذ كتب في التاريخ
الطبيعي بيان خلاب ، ومع ذلك فقد ترجم الآم قرتر لجيته ،
وروفائيل للامرتين ترجمة يقرر الحادثون للألمانية والفرنسية أنها
كالأصل بلاغة وسمواً ودقة ، ويكتب منذ أكثر من عشر
سنوات في مشكلاتنا السياسية والاجتماعية والأدبية والاقتصادية .
وهذا هو (العقاد) كتب المبعريات ، ولكنه ألف
(سعد زغلول) ، و (شعراء مصر وبيئاتهم) و (الحكم المطلق
في القرن العشرين) و (هتلر) وغيرها ، وله مئات للقطالات
في شتى الموضوعات وللناسيات .

وهذا (هيكل) ألف عن (محمد) و (أبي بكر) و (عمر)
ولكنه ألف أيضاً عن (روسو) و (السياسة المصرية) الخ .

فأى نصف بمد ذلك يتجنى على كتاب مصر بأنهم يحيون

المرأة ، ويضع لها أنها جذيرة بالسواة ، خليفة بأعمال الرجال ؟
أم يبيعه إذ لم يخرج على الأمة بصيحة تحقر أديها ، وتبليد
لنتها ، وتزدرى خصائصها وأخلاقها ، وتمهن مفاخرها وأبطالها ؟
لست أدري .

— ٣ —

ولست هذه العيوب مقصورة على العقاد وحده ، بل يشركه
فيها ٩٩ في المئة من كتاب مصر ، فن بق إذن ؟ لم يبق خالياً
من العيوب إلا الأستاذ سلامة ومحررو بعض المجلات الشعبية ،
فهم أرواب الأساليب والأفكار المرتضاة عنده ؛ لأنهم يسقون
في تعبيرهم ، ويتوخون العامية في كتاباتهم ، ويختارون المجازات
(البلدية) والكنائيات (الشعبية) والموضوعات التافهة المتذلة .
يا ويح الأدب العربي في هذا العصر إن كان قد حرم بيان
(الزيات) الرفيع ، وأسلوبه الفياض بالحياة ، الفياض بعبير الجمال
وعطر الفن .

وربيل للأدب في هذا العصر وفي كل عصر إن استكان
رواده وشداته للعودة الأستاذ فأثروا النسولة في تعبيرهم ،
والانتضاع في تصويرهم والتلذذ في لغتهم ، إذن لبري الأدب
منهم ، وإذن كُتبت عليهم وجوه الجمال في تراهم من أدب
الأسلاف ، وإذن امكأوا عن السر في بلاغة القرآن وإعجازها ،
وهذا كله بعض ما تفرقه هذه الدعوة الماسفة الهدامة .

— ٤ —

وكتابنا كلهم متخلفون رجعيون في رأى المؤلف ؛ لأنهم
يُمتنون أنفسهم بالبحث في الماضي ، وتنضح أقلامهم بدراسة
تراثنا المجيد ، ولا يكتبون عن الحاضر شيئاً

فأى حق في هذا وأى صدق !

قد كتب العقاد عن الماضي بروح العصر ، وثقافة العصر ،
والطرق الحديثة في البحث والتجليل ، وأسهم في بحث مفاخر
هذه الأمة التي رادت العالم أحقاباً طوالاً ، وشارك في إحياء
الأمثلة العليا من بطولتها ؛ لأن الأمم لا تهض بمحاضرها وحده ،
بل لا بد لها من ماض مجيد يلهمها وينفخ فيها من روحه قوة
وحيوية ، وهذا ما فعلته الدول الناهضة الغالبة اليوم ، وليس

ولكنه نسي أن العرب استعاروا كلمات من الفرس واليونان
والهند بعد أن صقلوها أولاً صقلاً عربياً لتلائم منطقتهم ، كلفظ
آذريون من آذركون ، وديباج من ديوفار ونيروز من نوروز الخ
وقلما استعملوا الكلمة الأجممية على حالها ، وكان ذلك للتظرف
والتلميح فحسب مثل كلمة آب سرد بمعنى الماء البارد في قول المهاني :
لما هوى بين غياض الأسد وصار في كنف الهزبر الورد
آل يذوق الدهر آب سرد

على أنهم عربوا حيث اختصروا إلى كلمات تؤدي معاني خاصة
ليس في لغتهم ما يؤديها . وإذا كان الأستاذ يستدل على جودنا
ومرونة الإنجليز بأن في لغتهم نحو ألف كلمة عربية فليد لنا على
كلمة واحدة ينطقها الإنجليز كما ينطقها العرب .

على أن كتابنا محقون في أنهم لا يلجأون إلى الكلمة
الأجممية إذا كان في لغتنا ما يدل عليها ، أو نستطيع أن نشق
من لغتنا ما يؤدي معناها ، وما من شك في أن لفظ سيارة يؤدي
المعنى ، وهو أخف نطقاً وأحلى وقعاً من لفظ أوتوموبيل ، وما من
شك أيضاً في أننا إذا أبحنا لأنفسنا استعمال الكلمات الأجممية
على حالها وبغير ضرورة إلى استعمالها فقد حفرنا للفتنة وقوميتنا
قبراً بأيدينا ؛ لأنه لن يمضي قرن واحد حتى تصير لغتنا خليطاً
مشوهاً من عربية مهزومة ، وعامية مختلفة باختلاف الأسماع
والبيئات ، وأجممية غازية متفشية ، ثم بعد قرن آخر تندثر العربية
والعامية وتفرنس أو تتجلىز ، وبصينا ما أصاب إخواننا العرب
في تونس والجزائر ومراكش .

ومن الخير أن يقتصر التعريب على كلمات أجممية لا مناص لنا
من استعمالها في العلوم المختلفة ، ولا ضرر على لغتنا ولا على قوميتنا
من ذلك ، ثم لتعرب الكلمات التي جرت في الصناعة وشئون
الحياة إذا لم نجد في لغتنا أو مشتقاتها عدلاً لها ، وأما غير هذا
فاندحار وانتحار ، وتخريب لبيوتنا بأيدينا ، ومعاذ الله أن يحيق
بنا ذلك .

أحمد محمد الحرفي

(يتبع)

للدرس بالميدية الثانوية

وعيونهم مشدودة إلى الماضي وحده ؟

ومن ذا الذي يجحد فضلهم في مسيرة الثقافة ، ومواثيق
الحياة للتجدة المتطورة ؟

إنهم يونان الثقافة ولكن أكثر إنتاجهم — متأثراً بهذه
الثقافة — شرقى الروح ، عربى الأسلوب ، إسلامى النزعة ،
وكل ميزة من هذه الميزات مرة في بعض الأفواء ، فكيف بها
مجتمعة ؟

ثم لماذا تضنّ نعوت العبقرية على (إميل لودفيج) لأنه
كتب عن المسيح عليه السلام كتابة رائجة ، ويوسم كتابنا
بالرجمية إذا ما كتبوا عن النبي محمد وخلفائه ؟

وإنه لعفوق أن يهجر ماضينا بعض المستشرقين فيجردون
أقلامهم لتجديده ، والكشف عن لآئته ، كما فعل (استانلي لين بول)
في (قصة العرب في إسبانيا) فتفتى بمجدهم ؛ لأنهم كانوا شعلة
النور في أوروبا بعد أن أخذت مدينة الرومان ، واندثرت حضارة
اليونان ، وكما فعل (سيدو) ومؤلفو (تراث الإسلام) و(دائرة
المعارف الإسلامية) ثم نعى — ونحن وراثهم — عن هذا المجد
فلا تنوء به .

ولماذا لا يعاب كتاب القرب وهم ما فتوا يكتبون عن
هوميروس وأفلاطون ، وأرسطو والإسكندر ؟

الحق أن الأستاذ سلامة كثير النعوى ، غريب القضايا ،
مفتت على المطلق الذي يريده أساساً للفكر والأدب .

جيت إشارة هجلى إلى خلط آخر في كتابه كالتلطي الذي
يناه في لومه أبا تمام في المقال السابق ، تلك أنه نسب إلى العقاد
التأليف عن (حسان) فليخبرنا متى كان ذلك ؟ اللهم إلا إذا
أراد بحسان كل مشايخ للرسول منافع عن الإسلام .

— ٥ —

« يكره كتابنا الكلمة الأجنبية ، فيقولون سيارة بدلا من

أوموبيل » ص ٢٠

ودعا في كتابه إلى إدخال الكلمات الأجممية على حالها ،
واستدل بأن العرب أدخلوا في لغتهم في العصر العباسي كلمات
أجممية .